الحكم الذاتى فى المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

(تتمة)

وهناك مسألة أخرى يصح التحدث عنها ، وهى مسألة الإيعاز suggestion والحكم الذاتى

فللإيعاز أشكال كثيرة . ومن أعود هذه الأشكال بالفائدة شكلان : الإيعاز الإيجابى ، والإيعاز السلبى . والإيعاز السلبى فيما يبدو أكثر فائدة فى مضمار التربية

فالمربى يركن إلى الإيعاز الإيجابى حين يجد تلميذه أو تلاميذه ينهجون سنناً يؤدى بهم فيما بعد إلى إعوجاج تربوى . فإذا لم يرعو تلميذه أو تلاميذه عن انتهاج هذا السنن فله حينئذ أن يسلك أحد سبيلين : فإما أن يصطنع العسف ، وإما أن يرفض تحمل مسئولية ما يحدث . وصفوة القول أنه إذا وجد المربى تلميذاً ينتهج سنناً فى انتهاجه ضرر تربوى ، فعليه إذا استطاع أن يحول بينه وبينه ، وإلا فليخبر من بيدهم القوة

على أنه يجب ألا يركن إلى الإيعاز الإيجابى كثيراً ، ولكن إذا مست الحاجة إليه فليصطنع بغير تردد

أما الإيعاز السلبى فهو أدعى إلى الاهتمام . ذلك لأنه الوسيلة التى يصطنعها المربى لتدريب تلاميذه على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب ، وبذلك يعمل على أن يحقق لهم شخصيتهم العقلية . ومتى مرن هؤلاء التلاميذ على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى مرحلة العمل المثمر

ولنضرب للإيعاز السلبى مثلاً نوضح به هذا الذى نقول . فلنفرض أن هناك فصلاً يصطنع فيه الحكم الذاتى ، وأن تلاميذ هذا الفصل يبحثون مثلاً مشكلة التأديب . فهناك نجد هؤلاء التلاميذ عاطلين من العقول الناضجة ومن الخبرة بالحياة ، وأنهم لهذا يغفلون فى اعتبارهم بعض الأحوال ، فإذا ما وصلوا إلى رأى ما فى هذه المسألة ، فإن رأيهم هذا يكون رأياً مبتسراً غير مبنى على اعتبار جميع الأحوال . وهنا يأتى دور المدرس ؛ فإما أن يضع فى نطاق اعتبارهم حالة ما لم يتناولها رأيهم ، وإما أن يسألهم مباشرة عما إذا كان خطر ببالهم أنهم أغفلوا اعتبار عامل من العوامل . فإذا أدى بهم هذا إلى أن يعيدوا النظر فى رأيهم ويصلوا بذلك إلى كنه المسألة ، فإن المدرس يكون حينئذ قد اصطنع الإيعاز السلبى ليعينهم على الوصول إلى هذا الرأى الصحيح . وإذا لم يستطيعوا الوصول إلى هذا الرأى الصحيح فعلى المدرس حينئذ أن يدعهم وما وصلو إليه . فإنهم سيدركون بالخبرة أنهم كانوا على خطأ ، وأنهم لم يدخلوا فى اعتبارهم جميع الحقائق

وهنا مسألة ثالثة هى مسألة تأثيرات repercussions الحكم الذاتى . فللحكم الذاتى تأثير فيما يتعلق بالحياة ، وتأثير فيما يتعلق بالنجاح فى الحياة . ولنتكلم عن كل من هذه التأثيرات

١ — فيما يتعلق بالحياة

من وجوه النقد التى يمكن أن توجه إلى نظام الحكم الذاتى أنه يجعل التلاميذ على أن يحيوا حياة مثلى بينها وبين واقع الحياة أمد بعيد ، بحيث أنهم حين يلجون باب هذه الحياة يجدون أنفسهم مضطرين إلى أن يفصلوا مما نشئوا عليه لينغمروا فيما هم فيه

والجواب على هذا الاعتراض أن الحكم الذاتى حين ينشئ التلاميذ على أن يحيوا هذه الحياة المثلى يعمل على إصلاح واقع الحياة وعلى معالجة ما فيها من عيوب . أما إذا نشأ التلاميذ على أن يحيوا حياة تشبه حياتهم الواقعة فإنه حينئذ لا يضطلع بأى إصلاح ، وإنما يضمن للحياة الواقعة بقاءها على ما هى عليه من تخلف وقصور .

وهناك جواب آخر يتلخص فى أنه يلاحظ دائماً فى أن التلاميذ يسلكون مسلكا مضاداً لما يريده عليهم أساتذتهم . فاذا كان أساتذتهم يريدونهم على اعتناق الآراء القديمة البالية ، فإنهم على العكس من ذلك يعتنقون الآراء الثورية الهادمة ، وإذا كانوا يريدونهم على اعتناق الآراء الثورية المجددة فإنهم على على العكس من ذلك ينتهجون نهجاً محافظاً . فهذه الحال الأخيرة هى ما نراه فى نظام الحكم الذاتى . على أننا لا نقصد بالمحافظة

هنا الجمود ، بل المحافظة على خير ما فى التراث القديم من تقاليد ثبتت على محك الزمان . ومعنى هذا كله أن نظام الحكم الذاتى يبث فى نفوس التلاميذ روحاً مجددة ولكن على أساس من القديم ، روحاً تجمع بين طرافة الجديد وعراقة القديم ، روحاً تجدد ولكن لا تبدد

٢ – فيما يتعلق بالمنزل

لا شك فى أن نظام الحكم الذاتى الذى ينشأ عليه الطفل فى المدرسة يطبع هذا الطفل بطابع خاص ويحيله شخصاً آخر ويبث فيه روح الحرية والشجاعة ، بحيث نراه فى المنزل وقد خلع رداءه القديم ، فأخذ يكثر من الأسئلة ويجادل أبويه ولا يكتم رأياً من آرائه ، ويصبح بذلك كله مبعث فوضى واضطراب فى البيت . ولكن بمرور الزمن نجد هذا الطفل قد أخذ يستشعر روح السعادة ، ويكون بذلك مبعث سعادة فى البيت .

فإذا ما لاءم والداه بين نفسيهما وما يعتنقه من رأى فإن الحكم الذاتى يكون حينئذ قد امتد أثره إليهما عن طريق غير مباشر . أما إذا لم يستجيبا له فهما على الأقل سيضطران إلى معاودة النظر فى فلسفتهم فى الحياة .

وصفوة القول أن للحكم الذاتى فى المدرسة يداً تستطيع أن تمتد إلى المنزل فتتناوله بالتغيير والتبديل .

٣ – فيما يتعلق بالنجاح فى الحياة

يخيل إلىّ أن نظام الحكم الذاتى يؤهل التلاميذ لأن يكونوا فى المستقبل رجالاً يقومون بما تفرضه عليهم الحياة من واجبات ، وزعماء يقودون الجماعات ويسوسون الجماهير . وليس من شك فى أن هذا راجع إلى ما يبثه نظام الحكم الذاتى فى نفوس التلاميذ من الاعتماد على النفس والقدرة على سياسة الغير .

* * *

وللحكم الذاتى أنصار وخصوم . فكما أن له أنصار ينادون بوجوب اصطناعه فى كل مدرسة فإن له خصوماً لا يفهمون منه إلا أنه نوع من البلشفية Bolshvism ، نوع من البلشفية يتخلى فيه المدرس عن سلطته التقليدية ليتولاها عنه التلاميذ ، وهم يقولون إنهم لا يخدعون بما يزعمه أصحاب هذا النظام من حق المدرس فى الإشراف والتوجيه . ذلك لأنهم لا يعترفون بسلطة إلا سلطة المدرس ، ولا يؤمنون بحق إلا حقه

فهؤلاء هم خصوم الحكم الذاتى . على أنهم لن تقدر لهم الغلبة عليه . ذلك لأنه صدى للحياة المتجددة ، وهم صدى للقديم الموغل فى القدم ؛ وكيف يميت الصدى الحى صدى كاد يأكله الفناء ؟ ألا إن الحياة لا تبقى إلا على ما يسايرها فى سيرها الأبدى ، أما ما يتخلف عن مسايرتها فقد حق عليه أن يموت على مدرجة الطريق غير مرثىٍّ من أحد أو مبكىٍّ من أحد . هذه سنة الحياة ، وسنة الأحياء ، وسنة كل شىء .

السيد يعقوب بكر

ظهر اليوم الكتاب الأول باللغة العربية
من سلسلة خلاصة الفكر الإسلامى

اعترافات الغزالى

للدكتور عبد الدايم أبو العطا البقرى

وقد عرفت هذه السلسلة فى البيئات العلمية حيث طبع منها أربعة كتب باللغات الأجنبية المختلفة بدقة العرض ، وجرأة النقد ، وعمق الفكرة ، وبعث روح الإسلام

الثمن ٢٠ قرشاً و ٣ للبريد

الناشر
دار الكتب الأهلية
ميدان الأوبرا مصر — ت ٤٩٥٦١